جماعة عباد الرحمن

العبـــــاد
العدد ٦

سلسلة العشرة المبشرين بالجنة

لقَّبه رسول الله ﷺ :

"طلحة الخير . طلحة الجود . طلحة الفياض"

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م

يوزع مجاناً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طلحة بن عُبَيدِ الله

(رضي الله عنه)

نسبه رضي الله عنه

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو، ويمتد نسبه إلىٰ النَّضْر بن كنانة. ويكنَّىٰ « أبا محمَّد ».

أُمه الصَّعْبَة بنت الحَضْرَمي أُخت العلاء بن الحَضْرَمي، أَسلَمَت وهاجرت، وعاشت بعد أبيها قليلاً.

وأَسلَمَ أَخوهُ لأَبيه عثمان بن عُبَيْد اللَّه، ولهما أَخٌ ثالث قُتلَ يومَ بدر كافراً.

إسلامه رضي الله عنه

عن إبراهيم بن طلحة بن عُبَيْدِ الله رضي الله عنهما قال: قال طلحة: حَضَرتُ بسوق بصرىٰ، فإذا راهبٌ في صومعة يقول: سَلُوا أهل هذا الموسم: أفيهم أحدٌ من الحَرَم؟ قال طلحة: نعم، أنا. قال: هل ظَهَرَ أحمدُ بَعْد؟ قال: قلتُ: ومَن أحمد؟ قال: ... هو آخر الأنبياء، ومخرَجُه من الحَرَم، ومهاجَرُه إلىٰ نَخْل وحَرَّة[1] وسِبَاخ[2]، فإيَّاك أن تُسبَقَ إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما

(١) الحرَّة: أرض ذات حصىٰ.

(٢) سِبَاخ جمع سَبَخَة وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض النباتات.

قال. فخرجتُ مسرعاً حتىٰ قَدِمْتُ مكة، فقلت: هل كان من حَدَث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبدالله الأمين تنبَّأ، وقد تَبِعَهُ ابن أبي قحافة. قال: فخرجتُ حتىٰ دخلتُ علىٰ أبي بكر، فقلت: أَتَبِعْتَ هذا الرجل؟ قال: نعم؛ فانطَلِق إليه فادخُل عليه فاتَّبِعْهُ، فإنه يدعو إلىٰ الحق. فأخبره طلحةُ بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به علىٰ رسول الله ﷺ، فأسلم طلحة وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب، فسَرَّهُ رسولُ الله ﷺ بذلك. فلما أَسلَمَ أبو بكر وطلحة أَخذَهُما نوفل بن خُوَيْلِد زعيم بني تَيْم، فشدَّهما في حبلٍ واحد ولم يمنعهما مِن أذاه بنو تَيْم، فلذلك سُمِّيَ أبو بكر وطلحة «القرينَيْن».

(أخرجه الفضائلي، وصاحب فضائل أبي بكر).

صفاته رضي الله عنه

يتخذ الإنسان طائفةً من مكارم الأخلاق يتَّصف بها، ويدعو إليها، ويجعلها منهاجاً له في حياته. ويتميَّز كل امرئٍ عن غيره من الناس بواحدةٍ أو أكثر من تلك المناقب السامية حتىٰ أنه ليغدو قدوةً فيها ومثالاً.

وطلحة بن عبيدالله رضي الله عنه واحدٌ من أولئك الكرام الذين يُقتدَىٰ بهم ويُتَّخَذون مثلاً يُحتَذىٰ في مواقف الحياة، ليس في خُلُقٍ واحد فحسب ولكن في أخلاق كثيرة؛ فقد اشتُهِرَ بالشجاعة والحكمة والفصاحة والسخاء.

أ ـ شجاعته:

الشجاعة هي القوَّة المادية والمعنوية التي يتَّصفُ بها الأبطال وينمُّونَها

ويرعونها حتىٰ تتحوَّل سلوكاً يومياً في الحياة. وهذه القوة، إن كانت خاليةً من عقلٍ وحكمة وحُسن تفكير يوجِّهُها صاحبها في الأمور نحو النفع والبناء، صارت حمقاً وطَيْشاً وجَهالةً وإفساداً.

لقد أُوتَي طلحة رضي الله عنه إيماناً ويقيناً وثباتاً علىٰ الحق وحُبًّا للإسلام ودفاعاً عنه؛ فوجَّه قوَّتَهُ وشجاعتَهُ لخدمة دينه والدفاع عنه.

● **أجرُهُ أجر المشاركين في بدر:**

لم يحضر طلحة رضي الله عنه غزوة بدر. ورُوِيَ أنه كان في تجارة في طريق الشام، وقيل إنَّما خرج بأمر رسول الله ﷺ ليتعرَّفَ أخبارَ العدو، فمرَّت العيرُ ولم يحضر الغزوة، فضرب رسول الله ﷺ له بسهمه. فلما قَدِمَ قال لرسول الله ﷺ: «وأَجْري يا رسولَ الله؟»، قال: «وأَجرُكَ»؛ أي كُتِبَ لك عند الله تعالىٰ أجرٌ كأنك قد حَضَرت وشاركت.

● **جهادُه في أُحُد:**

هي أول غزوة حضرها طلحة رضي الله عنه وأَظهرَ فيها من شجاعته وتفانيه في سبيل الله ونُصْرَة الدين ما يثير الإعجاب والتقدير.

عن أبي عثمانَ رضي الله عنه قال: «لم يَبْقَ مع النَّبِيِّ ﷺ في بَعْضِ تلك الأيام التي قاتَلَ فيهنَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ غيرُ طلحةَ وسَعْد» (٣٥١٧ صحيح البخاري، ٣/ ١٣٦٣)؛ ويقصد بقوله «في بعض تلك الأيام» يوم أُحُد حين أُصيبَ المسلمون بإلتفاف المشركين مِن وراءِهِم بعد أن كادَ يتمُّ النصرُ للمسلمين.

عن عبدالله بن الزبير عن أبيه رضي الله عنهما قال: كان على النبي ﷺ درعانِ يوم أُحُد، فنهَضَ إلى الصخرةِ (أي أراد أن يصعد إلى الصخرة) فلم يَستَطِع، فأَقعَدَ طلحةَ تحتَه، فصعدَ النبي ﷺ عليه حتى استوى على الصخرة، فقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «أَوجَبَ طلحةُ[1]» (١٦٩٢ سنن الترمذي، ٤/ ١٠٢).

عن طلحة رضي الله عنه قال: لما كان يومَ أُحُد جعلتُ رسولَ الله ﷺ على ظهري، حتى استقلَّ وصارَ على الصخرةِ واستَتَرَ من المشركين فقال: هكذا -وأَومَأَ بيده إلى وراء ظهره-: «هذا جبريلُ عليه السلام أخبرَني أنه لا يراكَ يومَ القيامةِ في هَوْلٍ إلا أَنقذَكَ منه» (٢١٣ المعجم الكبير، ١/ ٦١١).

لقد مرَّت على المسلمين يوم أُحُد لحظاتٌ عصيبةٌ تَحتاجُ إلى ثَباتِ الجبالِ وشجاعة الأبطال وهِمَمٍ لا تلين. وكان طلحة رضي الله عنه أحد أبطالها الغُرِّ الميامين الذين قدَّموا الدليلَ الأَبلَج[2] على صدقِ الإيمان، فقد أُصيب بالكثير من الجروحِ والندوب والإصابات في تلك الغزوة غير المتكافئة.

قال الزبير بن بكار وغيره: أَبلى طلحة يوم أُحُد بلاءً حسناً وثَبَتَ مع رسولِ الله ﷺ ووَقَاهُ بيده، فَشُلَّت، وشهدَ الحُدَيْبِيَة والمشاهد كلها. وهو أحد العشرة المشهودِ لهم بالجنة، وأحدُ الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام. وأحد الستَّة الذين جَعَلَ عمر فيهم الشورى، وأَخبرَ أنَّ رسولَ الله ﷺ توفي

(١) أي فعل ما يُثاب عليه بالجنة.
(٢) الأبلج: الواضح.

وهو عنهم راض، وأحدُ الخمسة الذين أَسلَموا علىٰ يد أبي بكر.

عن عائشة وأم أسحق ـ بِنْتَيْ طلحة ـ قالتا رضي الله عنهما: جُرِحَ أبونا يومَ أُحد أربعاً وعشرين جراحة؛ وقع منها في رأسه شجَّةٌ مربَّعةٌ، وقُطِعَ نساه ـ يعني العرق ـ، وشُلَّت أصبعه، وكان سائر الجراح في جسده، فأُغمي عليه، ورسولُ الله ﷺ مكسورٌ رباعيَّته، مشجوجٌ في وجهه، قد علاه الغَشْيُ [1]، وطلحة مُحتَمِلُهُ يرجعُ به القهقرىٰ، كلَّما أدركَه أحدٌ من المشركين قاتلَ دونَه حتىٰ أسنَدَهُ إلىٰ الشِّعب.

وتوالت الأحاديث التي تذكر شلل يده مما وقىٰ بها رسول الله ﷺ يوم أُحُد. عن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: «رأيتَ يدَ طلحة التي وَقىٰ بها النبيَّ ﷺ قَد شَلَّت» (٣٥١٨ صحيح البخاري، ٣/ ١٣٦٣).

عن السيدة عائشة رضي الله عنها تصف طلحة رضي الله عنه بعد أُحُد فتقول: «ثم أَتينا طلحة في بعض تلك الجفار [2]، فإذا به بضعاً وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنةٍ ورَميَةٍ وضربَة، وإذا قد قُطِعَت أصبعُه» (مسند الطيالسي).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر إذا ذُكر يوم أُحُد، قال: «ذلك كلُّه يومُ طلحة». قال أبو بكر: «كنتُ أول من جاء يوم أُحد»، فقال لي رسول الله ﷺ ولأبي عبيدة بن الجراح: «عليكُما صاحبكما، يريد طلحة، وقد نزف» (مسند الطيالسي، ص٣).

(١) الغشي: الإغماء.

(٢) الجفرة: هي الحفرة.

فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أَتينا طلحة في بعض تلك الحفار فإذا فيه بضعٌ وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قُطعَت أصبعه، فأصلحنا من شأنه.

وطَلْحةُ يَوْمَ الشِّعْبِ آسَى مُحَمَّداً
لدىٰ ساعَةٍ ضَاقَتْ عليهِ وسُدَّتِ
وَقَاهُ بكَفَّيْهِ الرِّمَاحَ فقُطِّعَت
أَصَابِعُهُ تَحْتَ الرِّمَاحِ فَشُلَّتِ
وكانَ إمَامَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
أَقَرَّ رَحَا الإسلام حتىٰ اسْتَقَرَّتِ

لقد التزم طلحة رضي الله عنه طائعاً مختاراً راغباً راضياً أن يَصْدُقَ الله تعالىٰ في محاربة أعدائه، والعهد مسؤول، فوفىٰ له، ولم يفسخ، واستحق ثناء الرسول ﷺ وشهادته الناصعة. عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن سرَّهُ أَن ينظرَ إلىٰ شهيدٍ يمشي علىٰ وَجْهِ الأرضِ فليَنْظُر إلىٰ طَلْحَة بنِ عُبيدِالله» (٣٧٣٩ سنن الترمذي، ٥/ ٦٤٤).

ب ـ حكمته:

عَرَّفَ بعضُهُم الحكمة بأنها وَضْعُ الأُمور في نصابها. ووَضْعُ الأمور في نصابها لا يقتصر علىٰ الأقوال بل يتعدّىٰ ذلك إلىٰ الأفعال؛ من كانت أقوالُه سديدةٌ فهو حكيم، ومن كانت أعماله صائبةٌ فهو حكيم.

والحكيم يصل إلىٰ الإيمان واليقين بيُسر وسهولة بما أُوتي من ذهن وقَّاد، وفكرٍ صائب، واندفاع إلىٰ الحق، وميلٍ عن الهوىٰ والضلال. ولقد أَصابَ من قال: «رأسُ الحكمة مخافةُ الله»، وهو قولٌ ينطبق علىٰ طلحة بن عبيدالله ﷺ تمام الإنطباق؛ فهو كان من السابقين إلىٰ الإسلام المتمسِّكين به المُدافعين عنه، وكفىٰ بذلك حكمةً. وكان يُقال: «كان طلحة بن عبيد الله يُعَدُّ مِن حُكَمَاءِ قريش».

ج ـ فصاحته:

كان طلحة ﷺ فصيحاً بليغاً، ولعلَّ نشأته في قريش ـ وهي أفصح قبائل العرب ـ قد أفاده في هذا الشأن، ثم تزوُّده مِن القرآن الكريم، ومنهل السنَّة النبوية ممَّا زادَهُ قوَّة حجَّة وفصاحة لسان وقوة جنان؛ حتىٰ صار يُعَدُّ من خطباء الصحابة.

جمع عمر بن الخطاب ﷺ رؤوس المسلمين في عهده ليُشاورهم في قتال الفرس التي اجتمعت بنهاوند. فقام طلحة ﷺ فتشهَّد ثم قال:

«أما بعدُ يا أميرَ المؤمنين، فقد أحكَمَتْكَ[1] الأمور وعَجَنَتْك البلايا[2]، وأَحنَكَتْكَ[3] التجارب، فأَنتَ وشأْنك، وأنتَ ورأيك، إليكَ هذا الأمر، فمُرّ نُطِعْ، وادْعُنا نُجِبْ، واحمِلْنا نركَبْ، وقُدْنا نَنْقَد[4] فإنكَ وليُّ هذه الأُمور، وقد بلوت واختَبَرت فلم ينكشف لك عن شيءٍ من عواقبِ قضاءِ الله

(١) أحكَمَتكَ: جعلتكَ صاحب حكمة. (٣) أحنكتك: صرت صاحب حنكة.
(٢) عجنتك البلايا: أي صرت صاحب خبرة. (٤) قُدنا نَنقَد: أي سِر أمامنا نَسِرْ خلفك.

عز وجل إلا عن خيار[1]». ثم جلس.

د ـ سخاؤه:

لقد ضربَ رسولُ الله ﷺ أروعَ المثل في الجودِ والعطاء في أفعاله، ثم في أقواله. فأما في أفعاله فلقد تحدّثَ عنه أصحابُهُ ﷺ وهم الذين خالَطُوه وعرفوه عن قُرب، وتحدّثوا عن سخائه عليه الصلاة والسلام بما يثيرُ الدهشة والإجلال والإكبار. عن أنس يقول: «إنَّ محمداً ﷺ يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة» (٢٣١٢ صحيح مسلم، ٤/ ١٨٠٦)، إلى صحابي آخر يقول: «كان النبيُّ ﷺ أجودَ الناس، وأَجودُ ما يكونُ في رمضانَ حين يلقاهُ جبريلُ، وكانَ جبريلُ عليه السلام يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ فيدارسُهُ القرآن، فَلَرسولُ[2] الله ﷺ أجودُ بالخيرِ من الريح المُرسَلَة» (٣٣٦١ صحيح البخاري، ٣/ ١٣٠٤).

في مدارج هذه التربية الإيمانية السامية نشأَ وتربّى طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه وهو الصحابي الذكي الزكي، يقتبس من نور النبوة زاداً يضيءُ للسالكين من بعد حتى صار في الجود والسخاء مضربَ المثل ومطمحَ الأنظارِ وفارس الميدان.

شهادات النبي ﷺ في جوده وسخائه

تثير شهادات التكريم الفرح في نفس المكرَّم والإعجاب في نفوس الناس. وقيمة الشهادة الحقيقية رهنٌ بمدى مطابقتها للواقع، وصدقها في التعبير عن

(١) أي قد ما سلف من سيرتك كان فيه الخير من الله عزَّ وجلَّ.

(٢) الفاء السببيَّة واللام للابتداء، وزيدت على المبتدأ تأكيداً؛ يعني أنه في الإسراع بالجود أسرع من الريح.

شخص صاحبها، فكيف إذا كانت الشهادةُ ممّن خَبِرَ الرجالَ وعرفَهُم حقَّ المعرفة في مجالات الحياة كلها ولا سيما في الشدائد والصعاب ونزول المهمات؛ حيث تنكشف خبايا النفوس وتظهر حقيقة معادن الرجال.

لقد كان رسول الله ﷺ خيرَ من عرفَ مكارمَ الأخلاق وخيرَ مَن عرفَ أَهلَها. وهو عليه الصلاة والسلام ما قال إلا حقّاً وما نطقَ إلا صدقاً، لا ابتغاءَ سمعةٍ أو مُداهَنَةٍ، وإنما كان ينطق إحقاقاً للحق، وإبطالاً للباطل وإرشاداً للناس.

لقَّبَ رسولُ الله ﷺ طلحةَ بألقاب ثلاثة: طلحة الخير، وطلحة الجود، وطلحة الفياض. ثلاثُ شهادات تخرجُ من أَطهرِ فمٍ وأَصدَقِ لسان في حقِّ صحابي واحد؛ إنه لتكريمٌ ما بعده تكريم، وتعبيرٍ وأيُّ تعبير عمّا وصل إليه هذا الصحابي الجليل في ميدان البذل والعطاء. شهادةٌ نطقَ بها سيدُ الأنبياء ﷺ الذي وصفه ربه تبارك وتعالىٰ بقوله جلَّ وعلا:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [سورة النجم].

ولقد اختلفت الروايات التي تحكي الظروف التي نال بها طلحة هذه الشهادات النبوية؛ فقد رُوِيَ أنه لُقِّبَ بطلحة الخير يومَ أُحُد، وقيل في بدرٍ حين غابَ عنها وكان في حاجة المسلمين. ولقَّبَهُ رسولُ الله ﷺ بطلحة الجود يومَ حُنَين. ورُوِيَ أنَّ رسولَ الله ﷺ لقَّبَهُ بطلحة الفيَّاض يوم حُنَين، وقيل في غزوة «ذات العشيرة».

ونلحظ أنه رضوان الله عليه إنما نال هذه الشهادات النبوية الكريمة في جُوده وسخائه في أشدِّ الساعات وأَحلَكِها وأَصعَبِها، حين اشتداد أَوار الحرب، حين يكون المالُ صِنْوَ الروح تُفتَدىٰ به النفوس من الأَسرِ وتُشتَرىٰ به الحاجيات التي تنقطع وترتفع أثمانها. ففي تلك الأوقات، يُختبَرُ الإيمان ويُمتَحَن اليقين، في ساعات كتلك كان طلحة رضي الله عنه يُظهِرُ أَسمَىٰ ما يمكن أن ترتقي إليه النفس الإنسانية من نُبلٍ وسُمُوٍّ وكَرَم. فعلىٰ الخلاف في الظروف التي نالَ بها شهادات الرسول ﷺ السالفة الذكر إلا أنها كلَّها كانت في معارك الإسلام الفاصلة وساعاته العصيبة في بدرٍ، وأُحُد، وحُنَيْن، وذاتِ العشيرة.

وثمة رواية عن عمِّه موسىٰ بن طلحة: أَنَّ طلحةَ نَحَرَ جُزوراً، وحفَرَ بئراً يوم «ذي قرد»؛ فأَطعَمَهُم وسَقاهُم، فقال النبي ﷺ: «يا طلحةَ الفيَّاض» فسُمِّيَ «طلحةَ الفيَّاض». (المستدرك، ٣/ ٣٧٤).

ولم يكن رسولُ الله ﷺ وحدَهُ الذي عَرَفَ طلحة رضي الله عنه بجُوده وسخائه بل كلُّ مَن عرفَهُ أو خالطَهُ أو رآهُ أو سَمِعَ عنه.

هذه زوجته سعدىٰ بنت عوف رضي الله عنها قالت: لقد تصدَّقَ طلحةَ يوماً بمائة ألف. ولعلّ البعض يقول: ربما قالت امرأته هذا الكلام من باب التحسُّر علىٰ المال، لأن المرأة عموماً تشتهر ببخلها وحبها للمال؛ وللرد علىٰ ذلك نقول: إنه احتمال، والاحتمال لا ينهض دليلاً لا سيما في حقِّ أصحاب رسول الله ﷺ الذين لهم حُرمة ليست لغيرهم. فهم الذين ربَّاهم رسول الله ﷺ علىٰ

هدي القرآن الكريم وتوفِّي وهو عنهم راض . والله ﷻ أثنى عليهم في مُحكم التنزيل، وآياته ناطقةٌ برضى المولى عَزَّوَجَلَّ عنهم، والنبي ﷺ في أُخريات أيامه يوصي بأصحابه خيراً، ويحذِّر من الإساءة إليهم، وإذا لم تكن إساءةُ الظنِّ إساءة فماذا تكون الإساءة ؟ «أللَّه أللَّه في أَصحابي، أللَّه أللَّه في أَصحابي، لا تتَّخِذُوهُم غَرَضاً بعدي [1]» (٣٨٦٢ سنن الترمذي، ٥/ ٦٩٦).

سعدى بنت عوف زوج طلحة بن عبيدالله رضي الله عنهما كانت على نفس المنهج الكريم الذي كان عليه زوجها من الكرم والجود والسخاء. قالت رضي الله عنها: «دخل عليَّ طلحة فرأيتُهُ مغموماً، فقلتُ: ما شأنكَ؟ قال: المال الذي عندي قد كَثُرَ وأَكرَبَني. فقلتُ: وما عليكَ؟ اقسِمْهُ، فقَسَّمَهُ، حتى ما بَقِيَ منه درهمٌ، قال طلحة بن يحيى، فقلت لخازن طلحة: كم كان المال؟ قال: أربعمائة ألف».

إننا لا ندري بأيٍّ مِن الزوجين نَعْجَبُ، أَفي الرجل الذي يُرزَقُ المالُ الواسعُ فيَخافُ منه ويضطرب ويقلق، حتى لا يهنأَ له بالٌ كأنَّه مريض أو فزع، أو من امرأته تلك الزوجة المتفهِّمة الواعية التي استطاعت أن تعيدَ لزوجها راحتَهُ وأُنْسَه، اللذَيْن عكَّر عليهما إقبال الدنيا عليه، وهو الذي يسعى في طريق الآخرة ابتغاءَ مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ فكأنَّ هذه الزوجة الصالحة ترشدُ زوجَها لتحويل هذا العائق عن طريق الله إلى مطيَّةٍ لرضوان الله عَزَّوَجَلَّ.

(١) الغَرَض : الهدف ، أي: لا تجعلوهم هدفاً ترمونهم بأقوالكم.

ـ من قصص جُوده رضوان الله تعالىٰ عليه:

عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ أنَّ طلحة باعَ أرضاً من عثمان بسبعمائة ألف، فحملها إليه، فلما جاءَ بها قال: «إنَّ رجلاً تبيت هذه عنده في بيته لا يدري ما يَطرقُهُ من أمرِ الله لغريرٌ بالله»؛ فباتَ ورُسُلُهُ تختلف في سِكَكِ المدينة حتىٰ أَسْحَرَ وما عندَهُ منها درهم.

أيمكن أن يوجد في زماننا هذا من يُرزَقُ مالاً لا يحتاجُ إليه في يومه فيتصدَّقُ به من ساعته، لا يَستَبقي منه لنفسه ولا يدَّخرُ شيئاً لِغَدِه؟ إن مَن كانت أخلاقُه هكذا فقد سَمَت نفسُهُ، وهانَت الدنيا عنده حتىٰ لا تكادُ تُساوي شيئاً.

علي بن زيد قال: جاء أعرابيّ إلىٰ طلحة ليسأَله ويتقرّب إليه برحمٍ، فقال: إنَّ هذه لَرَحِمٌ ما سألَني بها أَحَدٌ قَبلَكَ، إن لي أَرضاً أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف، فإن شئتَ فاقبَضْها، وإن شئتَ بِعْتُها من عثمان ودفعتُ إليك الثمن. فقال الأعرابي: الثمن. فباعَها من عثمان ودفعَ الثمنَ إليه.لقد اشتهر طلحة ﷺ بالجود والكرم، وطارت شهرته في القرىٰ والأمصار حتىٰ وصلت أعماق الصحراء، حتىٰ يأتيه بدوي من مكان قصيّ ويمت بصلة قرابة مِن بُعْد لطلحة، وهو محتاجٌ راغبٌ في بِرِّه وجُودِه، والأعراب ذوي حاجاتٍ قليلة ومطالبَ محدودة، يكفيهم القليل. ولكن طلحة ﷺ يأبىٰ أن يعطيَ علىٰ قَدرِ السائل ولا تطيبُ نفسه حتىٰ يعطي علىٰ قَدرِهِ هو؛ فيخيِّرَ السائلَ بين أَرضٍ ومال، وكلٌّ منهما يُعَدُّ ثروةً كبيرة آنئذٍ، والبدوي لا حاجةَ له إلىٰ الأرض

ويرضىٰ بالمال.

كانت له أراضي في العراق تغل عليه ٤٠٠٠٠٠ إلىٰ ٥٠٠٠٠٠ وبالشراة[١] تغل عليه عشرة ألف دينار؛ فكان لا يدعُ أحداً من قبيلته «بني تيم» إلا كفاه مؤنةَ عياله، وكان يزوِّج فتياتهم، ويجهِّزهنَّ، ويخدمُ العاجز منهم، ويقضي دَيْنَ غارِمِهم. كان رضي الله تعالىٰ عنه يرسلُ إلىٰ السيدة عائشة رضي الله عنها إذا جاءَتْ غلَّتُهُ كلَّ سنةٍ عشرةَ آلاف.

ذات يوم سمع الإمام علي رضي الله عنه رجلاً ينشدُ:

فتىً كان يُدنيه الغِنَىٰ من صديقِهِ
إذا ما هو استَغْنَىٰ ويُبْعِدُهُ الفَقرُ

فقال: «ذلك أبو محمد طلحة»!..

لبس طلحة يوماً رداءً نفيساً، فخرج به. فبينما هو يسير إذا رجلٌ قد استلَّه[٢]. فقام الناس، فأخذوه منه. فقال طلحة: «ردُّوه عليه». فلما ردُّوه خجل الرجل ورمىٰ به لطلحة. فقال له طلحة: «خُذه، بارك الله لك فيه، إنِّي لأستحي منَ الله أن يُؤمَّل فيَّ أحدٌ أَمَلاً فأُخيِّب أَمَلَه».

روىٰ الحُمَيْدِي في «الفوائد» عن قيس بن حازم قال: «صَحِبْتُ طلحةَ بن عُبَيْدِ الله، فما رأيتُ رجلاً أعطىٰ لجَزيلِ مالٍ عن غيرِ مسألةٍ منه» (شرح فتح الباري، ٧/ ٨٣).

(١) الشراة: اسم منطقة.

(٢) استلَّه: نزعه عنه بخفَّة.

إن السفرَ يُسفِرُ عن أَخلاقِ الرجالِ ويُظهِرُ معادنَهُم. وها هو قيس بن حازم ﷺ يصحَبُ طلحةَ، ويخالطُهُ، ويكتشف من سجاياه ومناقبه ما يثير الإعجاب؛ فيندفعُ للحديث عمّن يكثرُ من إعطاء الغير من دون سؤال، إذ يكفيه أن يتفرَّس في الوجوه أو ينظر في ثياب الرجل ليعرف حالتَه وحاجتَه، فحالُ المرءِ تُنبِئُ عن حاجته، فيبادر ﷺ إلى البَذْلِ، ليس دُرَيْهِماتٍ تردُّ جوعةً عابرةً أو تسترُ عورةً ظاهرةً، وإنما ليعطي عطاءً كريماً يوفِّرُ العيشَ الكريمَ لعائلةٍ ابتلاها الله تعالى بضيق العيش وقلَّةِ ذاتِ اليد.

وكما صَحِبَ قيس بن حازم طلحةَ وحدَّثَ عن جُوده، صَحِبَهُ كذلك قبيصةَ بن جابر وحدَّثَ عن مسارعته للعطاء من غير سؤال.

وكان مِن جودِهِ رضوان الله تعالى عليه أن يسدِّدَ ديونَ الغارمين بالغةً ما بلغت؛ فقد قضى يوماً دَيْنَ رجلٍ بلغ ثلاثينَ ألفاً، وقضى عن عُبيدِالله بن معمر وعبدالله بن عامر بن كريز ثمانين ألف درهم.

كم هو الدَّيْنُ ثقيلٌ؛ همٌّ في الليل وذلٌّ في النهار، فلا عجبَ أن يستعيذَ النبي ﷺ بالله منه كما في قوله: «اَللهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ منَ الهَمِّ والحَزَن، وأَعوذُ بكَ منَ العجزِ والكَسَلِ، وأَعوذُ بكَ منَ الجُبنِ والبُخْلِ، وأَعوذُ بكَ من غَلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرجال» (١٥٥٥ سنن أبي داود، ٢/ ١٩٥). وكم تكون الفرصة كبيرة والسعادة غامرة حينما يأتي من يُلسِمُ الجراح، ويمسحُ الدموعَ، ويُذهِبُ الأحزان، ويُزيلُ الهمومَ ويقضي الحاجات.

إنَّ النبي ﷺ هو المُربِّي والمُرشِد والهادي لهذه المكارم الإنسانية. ففي قوله عليه الصلاة والسلام: «مَن قَضىٰ لأخيهِ المسلمِ حاجةً كان له من الأَجرِ كَمَن خَدَمَ الله عُمُرَه» (حلية الأولياء، ١٠/ ٢٥٥)، وفي قوله ﷺ: «مَن نَفَّسَ عَن مؤمنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنيا نَفَّسَ الله عنه كُربَةً مِن كُرَبِ يومِ القيامة، ومَن يَسَّرَ علىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخِرة» (٢٦٩٩ صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٧٤)؛ في أمثال هذه التوجيهات النبوية خيرُ تربيةٍ وإرشادٍ إلىٰ الحق وإلىٰ مكارم الأخلاق.

استشهاده

بشَّر النبي ﷺ طلحة بالشهادة وهي مرتبة عالية تطمح إليها أنظار الذين كَمُلَ إيمانُهم، وسَمَت همَمُهُم، وارتَقَت عزائمهم للعمل بمرضاة مولاهم. عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ كان علىٰ «حِراء» هو وأبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعليُ وطلحةُ والزبيرُ، فتحرَّكَت الصخرةُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إهدَأْ، فما عليكَ إلا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شَهيدٌ» (٢٤١٧ صحيح مسلم، ٤/ ١٨٨٠).

ثار الناس علىٰ عثمان رضي الله عنه، وكان طلحة رضي الله عنه يرىٰ أنَّ للثائرين حقٌّ، وكان لا يظنُّ أنه يبلغ بهم الأمر إلىٰ قَتلِه. فلمَّا قَتَلوه، طالب بإنزال العقاب بالقَتَلة. فخرج إلىٰ العراق للمُطالبة بذلك. وكان علي رضي الله عنه ـ وقد بُويعَ أميراً للمؤمنين ـ يرىٰ تأجيلَ العقاب بالفاعلين ريثما تهدأ الأوضاع.

ولمَّا التقىٰ الجَمْعَان في معركة الجَمَل كان مروان بن الحَكَم في جيش

علي ﷺ، فرمى طلحة ﷺ بسهم فأَصابه في ركبته، فلم يزل ينزف الدم منها حتى مات. وكان يومئذٍ أوّلَ قتيلٍ. واختُلِفَ في سِنِّهِ على أقوال أَكثرُها أنه خَمْسٌ وسبعون وأَقلُّها ثمانٍ وخمسون.

وجاء الإمام علي ﷺ إليه، وكان طلحة ﷺ قد ماتَ، فنزلَ عن دابَّتِهِ وأَجلَسَهُ، وجعلَ يمسحُ الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحَّمُ عليه ويقول: «لَيْتَني مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة».

الموت حقٌّ كتبه الله تعالى على سائر خَلقِهِ، ولكن العبرةَ بالمصير بعد الموت. وكما تلقَّى طلحة ﷺ بشارة النبي ﷺ بالشهادة، نال ﷺ بشارةً أُخرى أَجلَّ وأَعظم وهي مجاوَرَةُ النبي ﷺ في جنان الخلد.

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سَمِعَت أُذني مِن فِي[1] رسولِ الله ﷺ وهو يقول: «طلحةُ والزبيرُ جاراىَ في الجنة» (٣٧٤١ سنن الترمذي، ٥/ ٦٤٤).

كان ﷺ نِعْمَ الزوج لزوجه، ونِعْمَ العَشير لقومه، ونِعْمَ الصحابي لرسول الله ﷺ حتى استحقَّ ثناءَ النبي ﷺ.

رضي الله تعالى عن طلحة بن عبيدالله، وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ، وعن تابعيهم وتابعي تابعيهم وعنَّا معهم إلى يوم الدين، ونسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لنقتديَ بهذا الصحابي الجليل في مكارم أخلاقه وحَميدِ سَجَاياه إنَّه نِعمَ المُجيب.

---

(١) فِي: فَمِ.

جمع عمر بن الخطاب رؤوسَ المسلمين في عهده ليُشاورهم في قتال الفرس، فقامَ طلحة فتشهَّد، ثمَّ قال:

« أمّا بعدُ يا أَميرَ المؤمنين، فقد أحكَمَتْكَ[١] الأُمور وعَجَنَتْكَ البَلايا[٢]، وأَحْنَكَتْكَ التّجارُب[٣]، فأَنتَ وشأنك، وأنتَ ورأيك، إليك هذا الأمر، فمُرْ نُطِعْ، وادْعُنا نُجِبْ، واحمِلْنا نركَبْ، وقُدْنا نَنْقَد[٤] فإنكَ وليُّ هذه الأُمور، وقد بلوت واختَبَرت فلم ينكَشِفْ لكَ عن شيءٍ من عواقبِ قضاءِ الله عزّ وجلّ إلا عَن خيار[٥]». ثم جلس.

---

١) أحكَمَتكَ: جعلتكَ صاحب حكمة. ٢) عجنَتْك البلايا: أي صرتَ صاحب خبرة.

٣) أحنكتك: صرت صاحب حنكة. ٤) قُدنا نَنقَد: أي سِر أمامنا نَسِرْ خَلْفَك.

٥) أي ما قد سلف مِن سيرتك كان فيه الخير من الله عز وجل.

إن مطبوعات العباد مرخصة بالقرار رقم "٥٣"
تاريخ ١٩٧٩/٣/١٧ الصادر عن وزارة الاعلام

الناشر: جماعة عباد الرحمن ـ بيروت
ص.ب. ١٥٥٠١٧ (بريد البسطة)
هاتف: ٦٥٤٠٨٨ / ٠١